الثورة
www.althawranews.net
الأحد : 30 رمضان 1435هـ - 27 يوليو 2014م -العدد 18147
Sunday : 30 Ramadhan 1435 - 27 July 2014 -Issue No.18147

التجربة البصرية في المعادلة الشعرية المعاصرة

الفن في الشعرية المعاصرة وتجاوز النمطية التقليدية

عبد الرحمن مراد

بريشة مظهر نزار

تعتمد الصورة الشعرية على العناصر الحسية في البناء العام ، وتلعب الحواس دوراً كبيراً في عملية التركيب والتآلف والتناغم للصورة ، فالإيحاء الحسي أكثر تأثيراً في التعبير وهو الأوسع استخداماً في البناء الفني وبالضرورة لا بد أن يتآزر مع التأمل وينصهر في الموضوع ليكون أكثر بياناً لما يتشكل في الوجدان فالتصوير ــ كما يذهب الكثير ــ هو رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة ، وهي لا تخرج عن مرجعيتها البصرية أو السمعية أو غيرهما من الحواس من حيث إعادة إنتاج المشهدية للأشياء والأثر النفسي لها من خلال الصيغة التأملية التفاعلية في المنظومة الفكرية التي في الغالب تتسم بالحرية والتنظيم وهو الأمر الذي يجعل المبدع قادراً على التحكم من خلال الوعي بالوظيفة البصرية للبنية والتأليف بين الأبعاد الفنية للنص فيوازن ــ بالضرورة ــ بين الفكرة والصورة من حيث المعادلات الجمالية الناشئة من التحليل والتأليف والتركيب والتعديل ، ومع طول المران يتمكن المبدع من السيطرة على التجربة النصية ومدلولاتها الجمالية.

والتجربة البصرية في الفن هي من أكثر الحواس حيوية في التصوير لذا نجد الشعراء يميلون إلى الاعتماد عليها في نصوصهم وهي تحضر في النصوص الشعرية منذ القدم في بنيتها التشبيهية أو الاستعارية أو المجازية ، وقد يجهد الشاعر نفسه لصياغة ما يماثل آخر كبشار ابن برد الذي تروي عنه كتب الأدب أنه كان ينوي مماثلة امرئ القيس في إحدى صوره البصرية المركبة والواردة في قوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وما يزال بشار يجهد ذهنه حتى قال :

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم
وأسيافنا ليل ، تهاوى كواكبه

فالصورة في تشكيلاتها البلاغية ــ وفق مقاييس ذلك الزمن ــ كانت مسيطرة على اشتغالات الشعراء واهتماماتهم وما تزال التجربة البصرية هي من حيث الاشتغال النصي والاشتغال الشعري بما تفرضه العلاقة الخفية والمتلازمة بين المرئي واللامرئي وبين الروحي والمادي في البنية الاستعارية البصرية إذ أصبحت أكثر حضور وحيوية وأكثر شعرية من حيث قدرتها على التحرك في الأفق التأويلي ومناجاة أقاصي الوعي عند المتلقي يقول إروين إدمان : "أن الشاعر في الصورة التي يبدعها يعود إلى وظيفة أخرى للصورة وهو تحطيم الصور والمعاني المتوارثة في عقولنا التي انبعثت منها وترتب عليها ليستعيض عنها بصور أخرى أكثر جدة وحداثة تصبح تجربتنا بمقتضاها أكثر حيوية وحدة وتأثيراً ، إلا أن من الجدير الإشارة إليه هنا عدم الاقتصاد على استعادة البهاء الحسي للأشياء ، وتصوير تجربة الشاعر فحسب ، وإنما ليبعث الحياة والحيوية والنمو الصحيح فيها بعد ربطها المحكم بعواطفنا وآمالنا ومخاوفنا الداخلية وتقاليدنا ورغباتنا وشكوكنا وهواجسنا من الصورة التعبيرية الغير مباشرة عن حياتنا الصاخبة).

وتتنوع الحركة في التجربة البصيرة للنص من حيث الانتظام والانقطاع والتواتر والتناوب بالاستناد على البنى التركيبية والتأليفية بين مختلف التفاعلات والعناصر المحدثة للحركة الداخلية ــ التفاعل الكيميائي للنص ــ وقد تُحدد تلك الحركة في الأبعاد التالية :ــ

- التفاعل الفطري.
- التفاعل المنبعث من الطبيعة والكون.
- التفاعل الكامن في الأشياء.

وخلف تلك القيم التفاعلية تكمن الشعرية البصرية للنص الحديث وتظهر من خلال خاصية الحركة الداخلية التفاعلية في البنية النصية البلاغية وخاصية الحركة الخارجية القائمة على "التذوق" وهي العملية التي ينتج عنها الإدراك فالدهشة ، فالانجذاب إلى العمل الفني النصي وبما يحقق المتعة من خلال الصيغة التفاعلية بعملية التوحد والاندماج مع التجربة الجمالية.

فالفن في الشعرية المعاصرة قد تجاوز نمطيته البسيطة التقليدية وذلك باعتماده لغة فنية حديثة ترتكز في مقامها الأول على مفردات وصيغ تشكيلية تستوعب مفهوم الزمن في حركته وفق الصيغة التفاعلية الداخلية للأشياء ، وبحيث تنتج عملية توليد الأشكال حركة بصرية تتحرك في أفق التأويل وتناجي أقاصي الوعي عند المتلقي من حيث توزيع المساحات ، وتوازن الكتلة النصية والفراغ داخل التصميم البنائي للتركيب ، ودلالات علامات الترقيم ، وحجم الحرف ، ومثل هذا الاتجاه للتجريب البصري في المعادلة الشعرية نجده أكثر تمظهراً عند شعراء المغرب العربي الذين يعتمدون الحركة البصرية في التأليف التشكيلي للنص ، ومن خلال وحدة التركيب للنص يتمكن العقل من تحديد رؤيته للعمل الشعري أو النصي التي ترتكز على خواص التأمل والإدراك والملاحظة ، وتصبح المساحة الفكرية لا متناهية من حيث فهم وتحليل وتأويل النص.

إذاً ثمة علاقة جدلية بين البناء النصي في الشعرية المعاصرة والتأليف التشكيلي له وبين عناصره البصرية وقدرته التفاعلية في الزمان والمكان ــ وفق المحددات التي أسلفنا ذكرها ــ وهي دالة على القيمة الجمالية والإبداعية للحركة البصرية في الشعرية المعاصرة.

وقد نشهد تطوراً يرتبط بالتقنية الحديثة ووسائط الاتصال بعد أن يفقد النص سلطته.

إذ أن المتأمل في الصيغة البنائية والشكلية للنص الالكتروني التفاعلي يجد طغيان الصورة البصرية التي تساعد المنظومة البرمجية على تأليفها وتكوينها لتكون نصاً أو تعبيراً عن حالة انفعالية كما بتنا نألف ذلك في شبكات التواصل الاجتماعي في ذلك العالم الافتراضي الذي نستغرق فيه.

فالنص التفاعلي الالكتروني بكل تموجاته الحديثة يعمل على تفتيت سلطة النص من خلال العملية الانفلاتية وإنسيابية الحركة الفطرية التي تتحرر أيضاً من سلطة العقل ، لذلك نجده يعتمد على التقنية البرمجية ويبتعد عن العمليات الذهنية الابتكارية والإبداعية مما يجعل الصورة البصرية حاضرة بقوة ، وربما كانت أقل إبداعاً وأقل شعرية وبالتالي أقل تأثيراً.

لكون البرمجية كسرت حاجز الخاصية الإبداعية والابتكارية وخاصية التميز لتجعل الكل ممن يستخدم التقنية الالكترونية قادراً على صناعة النص التفاعلي.. ونهايات الأشياء ربما كانت بمثابة العودة إلى البدايات.

دلالة المكان في الشعر اليمني

*"دلالة المكان في الشعر اليمني.. من منظور القراءة والتأويل" هو عنوان كتاب من تأليف الدكتور عبدالله صلاح والصادر خلال الايام الماضي عن دار مجدلاوي بالعاصمة الاردنية عمان والذي جاء في 279صفحة من القطع الكبير.

تنصرف هذه الدراسة إلى مقاربة دلالات المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل؛ وذلك لما يكتسبه حضور المكان في هذه التجربة الشعرية من تميز وتنوع في التشكيل والإبداع، فثمة ظواهر وأساليب تكشف طبيعة هذا الحضور وتجلياته الدالة على ثراء معانيه ودلالاته وتفاعلاته؛ وهو ما يمنحه زخماً من الانتظام والشمولية.

إن الالتفات إلى المكان في هذه الدراسة تنبعث أهميته من كونه فعالية فنية وإبداعية تتفلت من قيد الواقع المحسوس وعناصره المتباينة والمتناقضة، وتجوس خلال المعاني والصور والقيم الدلالية والرمزية ومثيراتها النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية التي تتعدى حدود الشكل وتتوغل في الذات وحواسها المختلفة.

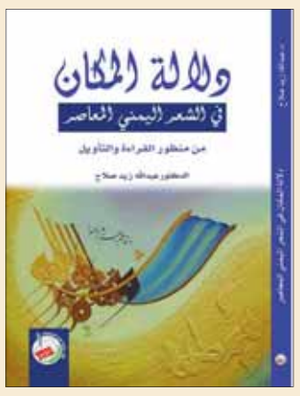

وعليه، فإن هذه المقاربة النقدية تستكنه معطىً جمالياً يتميز بمكوناته الفنية والتصويرية والدلالية الخاصة، من حيث ملامسته فكر القارئ وعاطفته، ومنحه الرغبة في التفاعل الخلاق مع قيمه الإبداعية وعلاقاته العميقة المرتبطة بالوعي الذاتي والجمعي على حد سواء، وكذا استجلاء حضوره المتميز الذي يمثل جزءاً جوهرياً من أجزاء الصورة الشعرية على مستوى اللغة والدلالة.

وقد تناول الكتاب دراسة ستة من أبرز الشعراء المعاصرين في اليمن، وهم: عبد الله البردوني، وعبد العزيز المقالح، وحسن الشرفي، وأحمد العواضي، وجنيد محمد الجنيد، وشوقي شفيق. ويأتي اختيار هؤلاء الشعراء كنتاج حتمي لقراءة فاحصة لأهم تجارب مدونة الشعر اليمني المعاصر، إذ تشي تجارب هؤلاء الشعراء بمعطيات كثيفة الإنتاج دلالياً وفنياً، تعكس بؤرة القصيدة المعاصرة في اليمن وحقيقتها؛ ولذلك نعتقد أنها كفيلة بإكساب عناصر البحث قيمة علمية، تكسبه الحركة والترابط وتمكنه من استيعاب عناصر الموضوع وخصائصه المتعددة. وتتعزز هذه القيمة أكثر باستقامة التشكيل المكاني في حقول هؤلاء الشعراء، وتوافر نواتجه الدلالية والجمالية بشكل لافت وذي فاعلية، وهو ما يعني أن هذه التجارب الشعرية تعكس الوجه الحقيقي لمدونة الشعر اليمني المعاصر، وتفصح عن خصوصية مضامين هذه المدونة ونواتج معطياتها الدلالية.

ظواهر المسرح العربي

خصصت فصلية "المسرح" مؤخراً التي تصدرها دائرة الثقافة والإعلام في حكومة الشارقة ملف عددها الجديد لرصد أبرز ظواهر وشواغل المسرح العربي خلال العام 2013 م.

وفي افتتاحية العدد كتب رئيس التحرير أحمد بورحيمة عن الاهمية التي توليها الشارقة للكوادر المسرحية الشابة ولفت في هذا السياق إلى جملة من الورشات التدريبية التي نظمت إضافة إلى المسابقات والمهرجانات التي شهدتها الشارقة اخيراً، داعياً إلى المزيد من العناية بمسرحيي الغد ومضاعفة الجهد في اتجاه توسيع الفرص والخيارات امامهم.

وفي ملف العدد، قرأ أحمد خميس جملة من العروض المسرحية التي شهدتها القاهرة سنة 2013 مبرزاً انشغالاتها الفكرية وطموحاتها الجمالية، وعن وضعية متدهورة للمسرح المصري لأسباب مؤسساتية كتب يسري حسان؛ فيما خصّ محمد مسعد "النظام المسرحي" في مصر براؤه وملاحظاته.

وحول التجربة المسرحية في الأردن كتب عواد علي قارئاً تحولات المشهد في عمان خلال السنوات الأخيرة ، مستعرضاً آلياته وتقاليده واشكالياته، وكتب السر السيد عن اشكاليات بنيوية يعانيها المسرح في الخرطوم ورصد في هذا السياق بعض مشاهد الاحتجاج التي عرفتها الساحة هناك، في تطور لافت في العلاقة بين المسرحيين والمؤسسة الرسمية. وعن مسرح يحاول أن يستمر في دمشق برغم ظروف الحرب، كتب ناصر ونوس، مستذكراً بعض اللحظات الفارقة التي عرفتها التجربة المسرحية السورية ما قبل الحرب، فيما ابرزت أمل بنويس الاثار الايجابية التي نتجت عن دعم الدولة في المغرب للمسرح، متوقفة عند عدد من التجارب المسرحية الشابة التي أحرزت مكانة منظورة بفضل الدعم الرسمي؛ وفي الجزائر كان العام السابق مخصصاً للاحتفاء بمرور خمسين سنة على الثورة الجزائرية وخصصت وزارة الثقافة موازنة هي الأعلى لاستذكار المناسبة إلا أن بعض الاخفاقات رافقت التجربة وهذا ما رصده التقرير الذي انجزه عبدالناصر خلاف. في العراق، مرت مناسبة بغداد عاصمة للثقافة العربية مصحوبة بالكثير من الاشكاليات إلا أن المسرح كسب موقعاً أفضل قياساً إلى كل السنوات السابقة التي تلت 2003 وهو ما بيّنه حاتم عودة في قراءته بالملف.

وفي باب "دراسات" كتب محمود نسيم عن مسرحية "طقوس الإشارات والتحولات" ودلالتها الكلية بين صعود الفردية وانكسارها، وكتب عبدالرحمن بن زيدان عن صورة ابن رشد في مرايا المسرح العربي استنادا إلى تجربة الكاتب التونسي عزالدين المدني، وتحت عنوان "المرأة والمسرح: سيرة المذاكرت" كتبت سامية حبيب عن الصعوبات التي كان على المرأة ان تواجهها في بدايات التجربة المسرحية المصرية.

وضم الباب دراستين حول جماليات التصوير الضوئي في المسرح الأولى بعنوان "المسرح والفوتوغرافيا.. الصور تخفِق دائما" وهي للكاتب رودريغ فيلنوف ومن ترجمة الزهرة إبراهيم والثانية بعنوان "فوتوغرافيا المسرح: جمالية الأثر المضيء" وأنجزها حسن اليوسفي.

وفي باب "تجارب وشهادات" ترجمت لمى عمار مقالة لتناسيس كامبانيس تحت عنوان "سعد الله ونوس: محكومون بالأمل"، وتوقف سعيد كريمي عند تجربة الطيّب الصديقي كمدخل للحداثة في المسرح المغربي، وتحت عنوان "محمد بن قطاف: مهندس المسرح الجزائري" جاءت قراءة محمد بوكراس حول تجربة مدير المسرح الجزائري الذي رحل أخيراً، وفي الباب أيضا مقاربة لتجربة هارولد بنتر ومساراتها المتعددة وهي بقلم مصطفى آدم.

وكتبت عائشة العاجل في زاويتها حول العلاقة بين المسرح والإعلام في الوطن العربي.

اما باب "متابعات" فضم قراءات حول العروض التي شهدتها مهرجانات المسرح في الشارقة والقاهرة والرباط والجزائر والخرطوم، إضافة إلى قراءة لمحمد زيطان حول منظور العرب إلى المسرح الغربي ومقاربة لعلاء الجابر حول جدوى اعادة انتاج العروض المسرحية، وثمة قراءة ليوسف البحري حول دلالات "البورشر/ مطوية العرض" في تجربة المسرحي التونسي توفيق الجبالي، ومن محتويات الباب أيضا رسالة بقلم عبد الله الكفري موجه إلى الشعب السوري وهي تحت عنوان " أنا أعترف.. أنا أعتذر".

باب "كتب" ضم أربع قراءات في عناوين صدرت حديثاً، واختارت المجلة نصا مسرحيا لباب "نصوص" بعنوان " المكافآت الإضافية" للكاتب أحمد السبياع.

مستقبل العالم

تتعدد الأصوات وتتباين، أو تتعارض، الآراء حول مستقبل العالم الذي نعيش فيه من حيث الموارد التي يمتلك عليها البشر من أجل تأمين معيشتهم وبقائهم. تتراوح التوقعات بين التأكيد أن موارد العالم المحدودة ستنضب بالضرورة مثل كل ما هو محدود، وبين التأكيد المقابل الذي يقول أصحابه أنه سوف يتم التوصّل عن طريق التقدم العلمي إلى حل جميع المشاكل المطروحة.

«الرهان» هو عنوان كتاب أستاذ التاريخ في جامعة يال الأميركية والأخصائي المعترف فيه دولياً في مجالي البيئة والطاقة بول سابان. وموضوع هذا العمل بالتحديد هو مناقشة توقعات الخبراء والاقتصاديين حيال «مستقبل العالم الذي نعيش فيه».

وإذا كان بول سابان يتوجه في عمله إلى الجمهور العريض من أنصار البيئة والاقتصاديين ورجال السياسة وكل من يهتم بتاريخ العالم فإنه يتعرّض عموماً لمسألة مستقبل العالم والتحديات التي تواجهها الإنسانية اليوم وفي الفترة القادمة من خلال مناقشة مآل «الرهان» وتاريخه بين أستاذين جامعيين كانا قد أطلقاه بينهما في مطلع سنوات الثمانينات حول أفق المستقبل.

أحدهما مدافع شهير عن البيئة هو بول ايرليتش، الذي يعرفه العالم كثيراً بعد صدور كتابه الذي يحمل عنوان «القنبلة السكانية» الصادر عام 1968 ليعرف بعد ذلك إعادة الطبع عشرات المرّات والترجمة إلى العديد من لغات العالم. والآخر اقتصادي محافظ هو جوليان سيمون، المعروف بدراساته عن الحلول التي تقدمها التكنولوجيات الحديثة باستمرار لمشاكل العالم. من هنا جاء العنوان الفرعي للكتاب «بول ايرليتش وجوليان سيمون وتصوراتنا عن مستقبل الكون».

ويشرح المؤلف أن بول ايرليتش راهن على أن مآل موارد المعمورة هو الشح والندرة. بل كان قد توقع أن السبعينات والثمانينات ستشهد حدوث «مجاعات ذات امتداد فوق التصوّر»، وما سيترتب عليه «موت الملايين من البشر» بسبب التزايد السكاني، الديموغرافي، بالوتيرة التي هو عليها اليوم. ويرى المؤلف أن ايرليتش أعلن عن رؤيته لمستقبل العالم في الجملة الأولى من كتابه الشهير التي جاء فيها: «لقد تمّت خسارة معركة تأمين الغذاء لمجمل البشر».

أمّا جوليان سيمون، الاقتصادي غير المعروف كثيراً على الصعيد الأميركي العام والباحث في جامعة «الينوا»، فقد أظهر قناعته الثابتة بخطأ آراء منافسه الريتش. بالتالي راهن أن التجديد العلمي والتكنولوجي سيكون كفيلاً بحل جميع المشاكل مستقبلاً، وفي عدادها شحّ الموارد الغذائية والمجاعات. ذلك من خلال «طاقات المواهب الكامنة لدى أصحاب العقول الواعدة»، ويقصد أهل العلم والمبدعين في مختلف مجالات التكنولوجيا.

ويشرح المؤلف أن أفكار ايرليتش حول «القنبلة السكانية» ونضوب موارد الأرض التي يعيش عليها البشر وجدت ترجمتها في السياسة التي انتهجها الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر في مجالين جوهريين هما الطاقة والبيئة.